خطبة جمعة بعنوان

﴿وقفات مع سورة العصر﴾

لفضيلة الشيخ

د/ مطلق الجاسر

-حفظه الله-

Created by Universal Document Converter

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضْلُلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا أما بعد:-

فاتقوا الله عباد الله، فإن تقوى الله هي سعادة الدنيا والآخرة، وهي نجاة الدنيا والآخرة.

معاشر المؤمنين:-

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

هذه السورة قليلة الكلمات، عظيمة المعاني، اشتملت على الدين كُله، حتى قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"لو لم يُنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الناس إلا هذا السورة لكفتهم"** هذه السورة اختصرت حياة الإنسان، ومصيره، وأسباب سعادته وأسباب شقائه.

فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أولها: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، أي يُقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعصر، والعصر المقصود في أول هذه السورة عند جماهير المفسرين هو الزمان والوقت والعُمر، وقال بعض المفسرين: المقصود وقتُ العصر الذي بين الظهر والمغرب.

ولا خلاف ولا إشكال ولا تعارض بين هذين القولين؛ لأن هذا الوقت الذي بين الظهر والمغرب هو أيضًا من العصر ومن الزمان، لكن المشهور عند المفسرين أن المقود هنا هو الزمان كُله.

يقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالزمان، وبالوقت، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُقسم بها يشاء من خلقه، أما البشر فلا يجوز لهم أن يُقسموا إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالشيء يدل على فضله وعظيم مكانته، فالوقت والزمن والعُمر هو الإنسان باختصار، فما الإنسان إلا زمنه وعمره الذي يستودع فيه أعماله؛ لذلك قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لن**

Created by Universal Document Converter

تزولا قدم عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع»، وذكر منها: «**وعن عُمره فيما أفناه**»، ثم قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، إن الإنسان: أي جنسُ الإنسان أي كُل إنسان، أي كُل البشر، في خُسرٍ أي في خسارةٍ وهلاك إلا.

إلا ما سيذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد هذه الآية من شروط النجاة وهي قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، وهذا يدلنا على أن طريق النجاة واحد فقط لا ثاني له، وهو أن تأتي بهذه الأمور الأربعة.

ولا طريق للنجاة هذا الطريق، وهو إتباع كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلام نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يوجد لهذا الطريق طريقٌ آ خر، ولا دينٌ آخر، ولا ملةٌ أخرى، كما يُحاول بعض الناس أن يُروجوا إلى أن لا فرق بين الإسلام وبين بقية الملل كاليهودية والنصرانية، وغيرها وأن كُلنا واحد وكلنا نعبُد ربًا واحدًا.

نقول كذبتم لسنا واحدًا، نعم لا نظلمهم، نتعايش معهم بسلام إلى آخره...، لكن لا يعني ذلك أن دينهم حق، ولا يعني ذلك أن طريق النجاة متعدد، لا، طريق النجاة واحد؛ لذلك يقول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قيل ومن يأبى يا رسول الله! قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**».

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فإذًا طريق النجاة واحد لا ثاني له مهما تعددت الأديان والملل، والمذاهب؛ فلا نجاة إلا لمن سلك طريق المصطفى صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك يقول ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا﴾ [العصر: ٢، ٣]، وهذا يُسمى في اللغة العربية الاستثناء، والاستثناء يدل على الحصر، أن النجاة محصورة بسلوك هذه الأمور الأربعة، وهي: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٣]، أي بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربًا، وبمحمدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا، وبالقرآن الكريم كتابًا، وكلامًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبالملائكةِ واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

Created by Universal Document Converter

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر:٣]، ولا يكفي أن تعتقد هذه الأمور، ثم لا تظهر هذه الأمور على جوارحك، بل يجب أن يكون لها ظهور عبر العمل الصالح؛ لذلك قال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر:٣]، لذلك يقول بعض الناس إذا نُصح مثلاً لماذا لا تصلي؟ أو لماذا لا تعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ يقول يا أخي الإيمان في القلب.

هو صحيح الإيمان في القلب ولكن دليل إيمان القلب ظُهوره على الجوارح، فإن لم يظهر على الجوارح؛ فهذا يدل على أنه لا يوجد إيمان في القلب، كما أيضًا، الإيمان هو الاعتقاد والعمل والكلام، فالعمل من الإيمان.

فلا يكفي أن تقول أنا مؤمن فقط دون عمل، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر:٣]، وهاتان الكلمتان اختصرتا الفقه كُله، حيث إن العبادة لا تصح إلا بشرطين:

⇦ **الأول:** الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

⇦ **والثاني:** الإتِّباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٣]، ويدخل في ذلك الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن تقصد وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذا العمل، ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣]، ولا يكون العمل صالحًا إلا إذا كان على وُفق ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن لم يكن كذلك فهو بدعة وليس عملًا صالحًا، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كُل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

«الخطبة الثانية»

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا أما بعد:-

مما يُروى أن هذه السورة العظيمة لمَّا نزلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة سمعها عمرو بن العاص قبل أن يُسلِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان صديقًا مُقربًا لمُسيلمة الكذَّاب، فزار عمرو مُسيلمة، فقال له مُسيلمة ما أخبار صاحبكم؟ -يعني محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فقال عمرو:

Created by Universal Document Converter

قد أنزلت عليه سُورة وهي سورة العصر ثم تلاها عليه قال: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

فقال مُسيلمة: وأنا أيضًا أنزلت علي سورة، فقال ما هي؟ فسكت قليلًا ثم قال: والوبر، وما أدراك ما الوبر إلى آخر هذه الخزعبلات...، فقال ما رأيك يا عمرو؟ فتبسَّم صاحبه عمرو وقال: والله يا مُسيلمة إنك تعلم أنني أعلم أنك كذَّاب، أنك تدري أن أنا أدري أنك كذاب، وذلك لأن العرب هم أهل الفصاحة والبيان ويعرفون الكلام العربي الفصيح المُعجز من غيره.

ثم قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، هذا الشرط الثالث، والعمل الثالث الذي يُنجي عند الله سبحانه، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، التناصح، التواصي، الإسلام لا يجعل الإنسان يعيش لنفسه ولِذَاتِه، لا.

الإسلام يأمرنا أن نتواصى فيما بيننا بالحق، ولاحظ أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال: وتواصوا، **والتواصي هو:** الوصية من الطرفين، والتناصُح من الطرفين، لا يوجد عندنا في الإسلام شخص ينصح ولا يُنصح، ما في كل بشر وكل إنسان ممكن أن يُنصَح حتى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل النصيحة، وهو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنُصح مرارًا واستجاب، في غزوة بدر، وفي أحد، وفي غيرها، فضلًا عن صحابته.

لما نصحت امرأة عُمر وهو على منبر أمام الناس، فقال: أخطأ عُمر وصدقت المرأة، فلا يوجد أحد فوق النصيحة في الإسلام أبدًا، ولا يوجد مذهب أو مبدأ الفردانية والذاتية والأنانية، إذا وفِّقت لعملٍ صالح أو وفِّقت لخَير فانشر هذا الخير ما شئت، وابدأ بالأقرب إليك، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣].

وهذا هو سبب خيرية هذه الأمة كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثم ختم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذه السورة بقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، وهذه الوصية الرابعة، أو الشرط الرابع

Created by Universal Document Converter

من شروط النجاة، والصبر يعُم كل ما جاء في هذه السورة، فالإيمان يحتاج إلى صبر، والعمل الصالح يحتاج إلى صبر، والتواصي بالحق يحتاج إلى صبر.

لذلك أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُتوج هذا الطريق طريق النجاة بتاج الصبر، فقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فهذا السورة إخواني الكرام لو لم يُنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الناس إلا هي لكَفت؛ لأنها دلَّتنا على طريق النجاة وبيَّنت أن الإنسان في خسارة إلا من سلك هذا الطريق حصرًا ولا طريق آخر للنجاة إلا هذا الطريق.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأسمائه الحُسنى وصِفاته العُلى أن يدلنا جميعًا على طريق النجاة، وأن يوفقنا وإياكم جميعًا على سلوكه، وأن يُثبتنا عليه، وأن يحشرنا يوم القيامة في زُمرةِ الناجين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللّهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين، اللّهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا عيبًا إلا سترته، ولا همًا إلا فرجته، ولا حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة إلا يسرتها وقضيتها يا رب العالمين.

اللّهم فرِّج هم المهمومين، ونفِّس كرب المكروبين، واقضي الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المُسلمين، اللّهم كُن لإخواننا في السُودان عونًا ونصيرًا، اللّهم أغثهم يا رب العالمين، اللّهم أغث إخواننا في كُل مكانٍ يا رب العالمين، اللّهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين.

عباد الله:-

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

Created by Universal Document Converter